أبو موسى الأشعري رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله : ها نحن مع صاحب القلب الرقيق.. الزاهد العابد ، إنه عبد الله بن قيس المكنى بـ أبي موسى الأشعري ذلكم الإمام الكبير صاحب رسول الله ﷺ الفقيه المقرئ.

وتبدأ قصته المباركة من أرض اليمن، حيث كان يعيش بين أهلها الذين وصفهم الحبيب ﷺ برقة القلوب، فقال ﷺ: «**أتاكم أهل اليمن هم أرقُّ أفئدة وألين قلوبًا ، الإيمان يمان والحكمة يمانية**»[1].

---

(١) متفق عليه عن أبي هريرة، صحيح الجامع (٥٣).

وفى رواية: «أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبًا وأرقُّ أفئدة الفقه يمان والحكمة يمانية»[1]. وكان رضي الله عنه على الرغم من حداثة سنه إلَّا أنه كان يُنكر على قومه عبادتهم لتلك الأصنام التي لا تنفع ولا تضر.

وكان يتمنى من أعماق قلبه أن تحدث معجزة لانقاد البشرية كلها من أوحال الشرك والوثنية إلى أنوار التوحيد والطاعة .. وسرعان ما تحققت أمنيته الغالية وكانت المعجزة السامية ببعثة الحبيب ﷺ وما إن سمع أبو موسى رضي الله عنه ببعثة الحبيب ﷺ، حتى حمل متاعه وأطلق لقدميه العنان، وهي تسابق الريح من أجل أن يظفر برؤية الحبيب ﷺ ويؤمن برسالته التي جاء بها ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن الرحيم الغفور.

وما إن وصل إلى مكة ورأى النبي ﷺ حتى أسلم لله - جل وعلا -.

وفى الليلة التالية التقى عبد الله بن قيس ومعه عمه أبو عامر برسول الله ﷺ ثانية وأقبل النبي ﷺ على أبي عامر، وكلمه بنحو ما كلَّم به عبد الله، وتلا عليه آيات من القرآن، فآمن سريعًا، وشهد شهادة الحق، وسُرَّ عليه الصلاة والسلام - بإسلام هذين الشابين اليمانيين وامتدحهما على سبقهما لقومهما بالإسلام، ثم حدثهما عن دعوته وكيف ابتدأت وعن أصحابه وما أصابهم في سبيل الدعوة، وعن موقف قريش من هذه الدعوة وحكى لهما قصة أصحابه الذين هاجروا فرارًا بدينهم إلى الحبشة، وكيف أن قريشًا امتد إيذاؤها لهم إلى هناك - لكنَّ الله تعالى - أبطل مكرها، وحمى أصحابه، وأخبرهما عليه الصلاة والسلام- أن دينه لابد أن يظهر وتعتنقه العرب والعجم ويُمَكِّنُ الله له في الأرض وانبسطت أسارير الشابين فرحًا وسرورًا بما سمعا، وقالا للنبي ﷺ: مرنا بأمرك يا رسول الله، إن شئت بقينا عندك، وتحملنا كما تحمل إخواننا وإن شئت رجعنا إلى قومنا فدعوناهم إلى دينك، وإن سبقت لحقنا بإخواننا في الحبشة فكنا معهم، فأثنى عليهما النبي ﷺ خيرًا، ثم أمرهما بالرجوع إلى قومهما والدعوة إلى الله - تعالى - حتى إذا ظهر أمره هاجرا إليه. وقال

(١) متفق عليه عن أبي هريرة، صحيح الجامع (٥٤٠٢).

الشابان: سمعًا وطاعة يا رسول الله. ثم مكثا في مكة عدة ليال، أقرأهما فيها النبي ﷺ عددًا من سور القرآن وعلمهما الصلاة وأداءها ثم انطلقا راجعين إلى اليمن، وقد فازا بأعظم ما في الوجود؛ فازا بالإيمان واليقين والإسلام لله رب العالمين[1]

عاد أبو موسى إلى بلاده اليمن - داعية إلى الله - جل وعلا - ليأخذ بأيدي الناس من حوله إلى جنة الرحمن - جل وعلا - وبعد مدة قضاها أبو موسى رضي الله عنه في اليمن يُعلم الناس كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ... تاقت نفسه لملازمة رسول الله ﷺ فحمل متاعه مرة أخرى وسافر إلى حبيبه ﷺ إثر فراغه من فتح خيبر ووافق قدومه قدوم «جعفر بن أبي طالب» - رضي الله عنه - وهو عائد من الحبشة هو وأصحابه فأسهم النبي ﷺ لهم جميعًا، وكان فرحًا بقدومهم أشد الفرح.

فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: بلغنا مخرج رسول ﷺ ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم أحدهما أبو بُردة والآخر أبو رُهْم - إما قال: في بضع وإما قال: في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلًا - من قومي فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده. فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا ها هنا وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا. فأقمنا معه حتى قدمنا جميعًا، فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر فأسهم لنا أو قال أعطانا منها وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئًا إلا لمن شهد معه إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه قسم لهم معهم قال: فكان ناس من الناس يقولون لنا- يعني لأهل السفينة: نحن سبقناكم بالهجرة - فذكر الحديث - وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «**ليس بأحقَّ بي منكم وله ولأصحابه به هجرةٌ واحدةٌ ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان**»[2].

وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقدم عليكم غدًا قوم هم أرق قلوبًا للإسلام منكم**» فقدم الأشعريون، فلما دنوا جعلوا يرتجزون:

---

(١) أبو موسى الأشعري، بقلم محمد على دولة (ص١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٣٠)، ومسلم (٢٥٠٢) واللفظ له.

غـــدا نـلـقـى الأحـبـه . محـمـــــدًا وحـــزبـــه

فلما أن قدموا تصافحوا فكانوا أول من أحدث المصافحة[١].

وعن عياض الأشعري، قال لما نزلت: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

قال رسول الله ﷺ: «**هم قومك يا أبا موسى، وأومأ إليه**»[٢] ولازموا الحبيب ﷺ الذي أحبهم من كل قلبه لما رأى عليهم من كريم الفعال ورقة القلوب وصدق الأقوال وانشغالهم ليلًا ونهارًا بعبادة الكبير المتعال، فكان يقول عنهم ﷺ: « **إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن، حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وإن كنت لم آر منازلهم حين نزلوا بالنهار**»[٣]. بل كان الحبيب ﷺ يثني عليهم بين أصحابه ثناءً عظيمًا فيقول عن الأشعريين « **إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوبٍ واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم**»[٤].

وعاد أبو موسى رضي الله عنه مرة أخرى ينهل من هذا النبع الصافي ويتعلم القرآن والسُنَّة بين يدي الحبيب ﷺ. وكان أبو موسى رضي الله عنه إذا قرأ القرآن تشعر وكأن الدنيا كلها تتمايل طربًا بصوته العذب الرخيم ، حتى إن النبي ﷺ قال له ذات مرة : « **يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**»[٥]

وأبو موسى الأشعري رضي الله عنه معدود فيمن قرأ على النبي ﷺ .. ولقد استعمله النبي ﷺ ومعاذًا على زبيد وعدن فأرسلهما إلى بلاد اليمن. وكان أبو موسى يحب القرآن

---

(١) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ١٥٥، ٢٢٣).

(٢) أخرجه ابن سعد (٤/ ١٠٧)، وصححه الحاكم (٢/ ٣١٣)، ووافقه الذهبي

(٣) أخرجه مسلم (١٦٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) أخرجه مسلم (١٦٧)، كتاب: فضائل الصحابة.

(٥) الترمذي عن أبي موسى وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٣١).

حبًّا ملك عليه لبه وفؤاده وجوارحه حتى إنه كان يقرأه في كل وقت وحين.

وعن أبي موسى أن النبي ﷺ لما بعثه ومعاذًا إلى اليمن، قال لهما «يَسِّرا ولا تُعَسِّرا وتطاوعا ولا تنفرا»، فقال له أبو موسى: إن لنا بأرضنا شرابًا يُصْنَعُ من العسل يقال له البِتْعُ ومن الشعير يقال له المِزْرُ قال: «كل مسكر حرام» فقال لي معاذ: كيف تقرأ القرآن؟ قلت أقرأه في صلاتي وعلى راحلتي وقائمًا وقاعدًا أتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا، يعني شيئًا بعد شيء، قال: فقال معاذ: لكني أنام ثم أقوم، فاحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، قال، وكأن معاذًا فُضِّلَ عليه[1] وكان أبو موسى ﷺ ممن زينهم الله بزينة الحياء. فعن أبي مجلز: أن أبا موسى قال: إني لأغتسل في البيت المظلم فأحني ظهري حياء من ربي»[2].

الحمد لله الذي جعل القرآن ربيع قلوب المؤمنين، وجعله شفاء ورحمة للمتقين، وجعل الخيرية فيمن تعلمه وعلمه إلى يوم الدين، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحابته أجمعين وبعد:

وظل أبو موسى ملازمًا للحبيب ﷺ، حتى كان ليظفر بالخير الكثير لقُربه من النبي ﷺ عن أبي موسى، قال: كنت عند رسول الله ﷺ بالجعرانة: فأتى أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني قال: «أبشر» قال: قد أكثرت من البُشْرى ، فأقبل رسول الله علي وعلى بلال، فقال: «إن هذا قدر رد البُشْرى فاقبلا أنتما: فقالا: قبلنا يا رسول الله، فدعا بقدح فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه - رد الماء فيه ثم قال: «اشربا منه، وافرغا على رؤوسكما ونُحُوركما» ففعلا فنادت أم سلمة من وراء الستر أن فضِّلا لأمكما فأفضلا لها منه[3]. وظل أبو موسى موضع ثقة الرسول ﷺ وحبه طوال مدة حياته إلى أن توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ.

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤٤) (٤٣٤٥) ومسلم (١٧٣٣).
(٢) ابن سعد (٤/ ١١٣، ١١٤) نقلًا من السير للذهبي (٢/ ٤٠١).
(٣) أخرجه البخاري (٨/ ٣٧) ومسلم (٢٤٩٧).

وحزن أبو موسى رضي الله عنه على فقد الحبيب حزنًا عظيمًا وعاش مدة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وكانوا جميعًا يعرفون له قدره ومنزلته العالية التي يستحقها بشهادة الحبيب ﷺ له.

أما مكانته في قلوب الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم فعن أبي البختري، قال: أتينا عليًّا، فسألناه عن أصحاب محمد ﷺ قال عن أيِّهم تسألوني؟ قلنا: عن ابن مسعود. قال: علم القرآن والسُنَّة، ثم انتهى وكفى به علمًا قلنا: أبو موسى؟ قال: صُبِغ في العلم صبغة، ثم خرج منه ...»[١] وكان أبو موسى فقيهًا ذكيًّا يتألق روعة وجمالًا وبهاءً وعدلًا في الإفتاء والقضاء.

قال مسروق: كان القضاء في الصحابة إلى ستة عمر، وعليّ، وابن مسعود، وأُبيّ، وزيد، وأبي موسى[٢].

وعن صفوان بن سليم: قال: لم يكن يُفْتي في المسجد زمن رسول الله ﷺ غير هؤلاء عمر، وعلي ومعاذ وأبي موسى[٣].

وعن أنس رضي الله عنه قال: بعثني الأشعريُّ إلى عمر، فقال لي: كيف تركت الأشعري؟ قلت تركته يعلِّم الناس القرآن. فقال: أما إنه كيِّس! ولا تسمعها إياه[٤]. ولقد كان عمر رضي الله عنه يعرف لأبي موسى رضي الله عنه قدره ويثق به ثقة لا يعلمها إلَّا الله.

فعن الشعبي قال: كتب عمر في وصيته: ألا يقرَّ عاملٌ أكثر من سنة، وأقروا الأشعريّ أربع سنين[٥].

فيا لها من ثقة غالية وضعها عمر رضي الله عنه عند من يستحقها.

---

(١) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات: أخرجه الفسوي في تاريخه (٢/ ٥٤٠).
(٢) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح: أخرجه أبو زرعة في تاريخ دمشق (١٩٢٢) وابن عساكر (٥٠٠).
(٣) ابن عساكر (٥٠٢)، نقلًا عن السير للذهبي (٢/ ٣٨٩).
(٤) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات: أخرجه ابن سعد (٤/ ١٠٨).
(٥) ابن عساكر (٥٢٢) نقلًا من السير للذهبي (٢/ ٣٩١).

فلقد ولاه عمر رضي الله عنه البصرة وولاه عثمان رضي الله عنه الكوفة.

أما الحديث عن الصفحات المشرقة من جهاد أبي موسى في سبيل الله تعالى فعلى الرغم من تلك الرقة التي كانت في قلبه والحياء الذي اكتسى به قلبًا وقالبًا، إلا أنه كان إذا حمي الوطيس وسكتت الألسنة، وصرخت السيوف فوق الرءوس كان هو الفارس المغوار الذي يبحث عن الشهادة في مظانها، وكأنه يبحث عن نصفه الآخر. وفى يوم أوطاس فاز بدعاء النبي ﷺ.

فعن أبي موسى قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من حنين بعث أبا عامر الأشعري على جيش أوطاس فلقي دريد بن الصِّمَّة فقُتِلَ دريد وهزم الله أصحابه فرمى رجل أبا عامر في ركبته بسهم فأثبته فقلت: يا عم، من رماك؟ فأشار إليه فقصدت له فلحقته فلما رآني ولى ذاهبًا فجعلت أقول له: ألا تستحي؟ ألست عربيًا؟ ألا تثبت؟ قال: فكف فالتقيت أنا وهو، فاختلفنا ضربتين فقتلته ثم رجعت إلى أبي عامر فقلت: قد قتل الله صاحبك قال فانزع هذا السهم فنزعته، فنزا منه الماء، فقال: يا ابن أخي انطلق إلى رسول الله فأقرءه مني السلام وقل له يستغفر لي واستخلفني أبو عامر على الناس فمكث يسيرًا ثم مات فلما قدمنا وأخبرت النبي ﷺ توضأ ثم رفع يديه ثم قال: «**اللهم اغفر لعبيدك أبي عامر**» حتى رأيت بياض إبطيه ثم قال: «**اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك**» فقلت ولي يا رسول الله؟ أي ادعو لي، فقال: «**اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مُدخلًا كريمًا**»[1].

أما عن فتح أصبهان فلقد حدث والمسلمون يفتحون بلاد فارس أن هبط الأشعري بجيشه على أهل أصبهان الذين صالحوه على الجزية فصالحهم.

بيد أنهم في صلحهم ذاك لم يكونوا صادقين إنما أرادوا أن يهيئوا لأنفسهم فرصة الإعداد لضربة غادرة ولكن فطنة «أبي موسى» التي لا تغيب في مواطن الحاجة إليها كانت تستشف أمر أولئك وما يُبيِّتُون فلما هموا بضربتهم لم يؤخذ القائد على غِرَّة

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٣٤) ومسلم (٢٤٩٨).

وهنالك بارزهم القتال فلم ينتصف النهار حتى كان قد انتصر انتصارًا باهرًا !![1].

وقال ابن إسحاق سار أبو موسى من نهاوند ، ففتح أصبهان سنة ثلاث وعشرين[2].

وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية : والصحيح أن الذي فتح أصبهان «عبد الله ابن عبد الله بن عتبان» الذي كان نائب الكوفة وفيها افتتح أبو موسى « قم وقاشان» وافتتح سهيل بن عدي «مدينة كرمان»[3] فالله تعالى أعلم. وفي المعارك التي خاضها المسلمون ضد إمبراطورية الفرس، كان «لأبي موسى الأشعري» رضي الله عنه بلاؤه العظيم وجهاده الكريم.

أما جهاد أبي موسى في موقعة «تستر» ففي تلك الموقعة التي انسحب الهرمزان بجيشه إليها وتحصن بها وحشد فيها خلقًا كثيرًا فأرسل «عمر بن الخطاب» أبا موسى الأشعري رضي الله عنه وأمدَّه بأعداد هائلة من المسلمين فحاصرهم أشهرًا وكثر القتل من الفريقين وقتل البراء بن مالك أخو أنس بن مالك يومئذ مائة مبارز سوى من قتل غير ذلك، حتى إذا كان في آخر زَحف قال المسلمون للبراء بن مالك - وكان مجاب الدعوة يا براء أقسم على ربك ليهزمنهم لنا. فقال: اللهم أهزمهم لنا واستشهدني قال: فهزمهم المسلمون حتى أدخلوهم خنادقهم واقتحموها عليهم ولجأ المشركون إلى البلد فتحصنوا به وقد ضاقت بهم البلد، وطلب رجل من أهل البلد الأمان من أبي موسى فأمَّنَه ، فبعث يدل المسلمين على مكان يدخلون منه إلى البلد وهو من مدخل الماء إليها، فندب الأمراء الناس إلى ذلك فانتدب رجال من الشجعان والأبطال وجاءوا فدخلوا مع الماء - كالبط - إلى البلد - وذلك في الليل، فيقال كان أول من دخلها عبد الله بن مغفل المزني وجاءوا إلى البوابين فأناموهم

---

(١) رجال حول الرسول ﷺ (ص٧٤٧).

(٢) ابن عساكر (٥١٧).

(٣) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٧/ ١١٤).

وفتحوا الأبواب، وكَبَّر المسلمون فدخلوا البلد[١].

وأما الفتنة التي حدثت بين علي ومعاوية م فعلى الرغم من شجاعة أبي موسى الأشعري وإقدامه حينما يقاتل أهل الشرك والكفر، إلا أنه عندما حدثت هذه الفتنة اعتزلها ولم يقاتل مع هذا ولا ذاك. قال الإمام الذهبي - رحمه الله - قلت: قد كان أبو موسى صوامًا قوامًا ربانيًا زاهدًا عابدًا، ممن جمع العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر لم تُغَيِّره الإمارة، ولا اغتر بالدنيا[٢].

وأما اجتهاد أبي موسى قبل رحيله إلى الدار الآخرة فعن موسى الطلحي قال: اجتهد الأشعري قبل موته اجتهادًا شديدًا فقيل له لو أمسكت ورفقت بنفسك؟ قال: إن الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مُجراها أخرجت جميع ما عندها .. والذي بقي من أجلي أقل من ذلك[٣].

وبعد حياة طويلة مليئة بالبذل والعطاء والتضحية والجهاد نام أبو موسى ﷺ على فراش الموت، وهو يتذكر نشيده الخالد الذي لقي به النبي ﷺ حين قدم عليه مع إخوانه، وهم يقولون جميعًا على قلب رجل واحد:

غـــدا نـلـقـى الأحـبـة .. محـمـــــدًا وحـــزبـــه

وفاضت روحه إلى بارئها - جل جلاله - فرضي الله عن أبي موسى وعن سائر الصحابة أجمعين اللهم انصر الإسلام والمسلمين، واخذل الكفرة والمشركين والمنافقين أعداءك أعداء الدين اللهم من ولي أمر المسلمين فيسَّر لهم فيسِّر أمرهم وأصلح شأنه ومن ولي المسلمين وشق عليهم فاشقق عليه، ولا تجعل له في الأرض تمكينًا يا سميع الدعاء. وقوموا إلى صلاتكم.

---

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٧/ ٨٨) بتصرف.
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ٣٩٦).
(٣) ابن عساكر (٥٣٤) نقلًا من السير للذهبي (٢/ ٣٩٣).

أبي الدرداء رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل أبي الدرداء رضي الله عنه إنه الإمام القدوة قاضي دمشق وصاحب رسول الله ﷺ.

أبو الدرداء حكيم هذه الأمة وسيد القرآء بدمشق. وهو معدود فيمن جمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ.

أما إسلامه فقد كان أبو الدرداء تربطه بعبد الله بن رواحة «في الجاهلية» صداقة ومحبة فقد كانا متآخيين في الجاهلية، فلما جاء الإسلام اعتنقه عبد الله بن رواحة وأعرض عنه أبو الدرداء وتمر الليالي والأيام وما زال أبو الدرداء على الشرك.

وفى يوم من الأيام خرج أبو الدرداء كعادته إلى متجره وأخذ يبيع ويشتري ثم عاد إلى منزله وهو في غاية الاشتياق لرؤية إلهه « الصنم» الذي كان يعبده، وإذا به يجد مفاجأة لم تخطر بباله أبدًا فلقد دخل بيته - وهو غائب عنه - عبد الله بن رواحة ومحمد بن مسلمة فكسرا صنمه، فرجع يجمع الصنم ويقول: ويحك ! هلا امتنعت! ألا دفعت عن نفسك فقالت أم الدرداء لو كان ينفع أو يدفعُ عن أحد دفع عن نفسه ونفعها.

فقال أبو الدرداء أعدِّي لي ماء في المغتسل فاغتسل ولبس حُلَّته، ثم ذهب إلى النبي ﷺ، فنظر إليه ابن رواحة مُقبلًا، فقال: يا رسول الله ، هذا أبو الدرداء وما أراه إلا جاء في طلبنا؟ فقال: «إنما جاء لِيُسْلم ، إن ربي وعدني بأبي الدرداء أن يُسْلم» [١] ومنذ أن أشرقت شمس الإسلام في قلب أبي الدرداء لم تغب عنه لحظة واحدة، فقد كان يعيش الإسلام قلبًا وقالبًا .. لقد كان يترجم آيات القرآن إلى واقع عملي منظور يراه الناس فيرون الإسلام من خلاله.

قال سعيد بن عبد العزيز: أسلم أبو الدرداء يوم بدر، ثم شهد أحدًا وأمره رسول الله ﷺ أن يرد من على الجبل، فردهم وحده. وكان قد تأخر إسلامه قليلا[٢].

أما زهد أبي الدرداء في الدنيا فقد قيل له: مالك لا تِشْعَرُ فإنه ليس رجل له بيت في الأنصار إلا وقد قال شعرًا؟ قال وأنا قد قلت فاسمعوا:

يريد المرء أن يُعْطَى مناه ∴ ويأبى الله إلَّا ما أرادا

يقول المرء فائدتي ومالي ∴ وتقوى الله أفضل ما استفادا

ولم يكن هذا مجرد كلام ليس له نصيب على أرض الواقع، بل كان أبو الدرداء رضي الله عنه يتعايش مع تلك الكلمات قلبًا وقالبًا، فانصرف إلى عبادة الله وأقبل

---

(١) أخرجه ابن عساكر (٣/ ٣٦٩/ ٢).

(٢) ابن عساكر (١٣/ ٣٧٠/ ١).

على العلم والعمل حتى إنه كان تاجرًا كبيرًا فأحس أن التجارة ستشغله عن طاعة ربه فتركها.

قال أبو الدرداء : كنت تاجرًا قبل المبعث، فلما جاء الإسلام جمعت التجارة، والعبادة، فلم يجتمعا فتركت التجارة ولزمت العبادة[١].

قال الإمام الذهبي: قلت: الأفضل جمع الأمرين مع الجهاد، وهذا الذي قاله، هو طريق جماعة من السلف، ولا ريب أن أمزجة الناس تختلف في ذلك فبعضهم يقوى على الجمع كالصديق، وعبد الرحمن بن عوف وكما كان ابن المبارك، وبعضهم يعجز ويقتصر على العبادة، وبعضهم يقوى في بدايته ثم يعجز وبالعكس وكل سائغ.

ولكن لابد من النهضة بحقوق الزوجة والعيال[٢].

ومن كلمات أبي الدرداء رضي الله عنه التي كانت تتألف روعة وجمالًا يقول حكيم هذه الأمة: تفكر ساعة خير من قيام ليلة.

وقيل لأبي الدرداء رضي الله عنه وكان لا يفتر من الذكر: كم تسبح في كل يوم؟ قال: مئة ألف، إلا أن تخطئ الأصابع. وقال رضي الله عنه : «لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتًا».

وقال أبو الدرداء: أدركت الناس ورقًا لا شوك فيه فأصبحوا شوكًا لا ورقة فيه، إن نقدتهم نقدوك وإن تركتهم لا يتركوك. قالوا: فكيف تصنع؟ قال تقرضهم عن عِرضك ليوم فقرك وجاء رجل إلى أبي الدرداء فقال: أوصني. قال: اذكر الله في السراء يذكرك في الضراء، وإذا ذكرت الموتى فاجعل نفسك كأحدهم وإذا أشرفت نفسك على شيء من الدنيا فانظر إلى ما يصير.

وكتب أبو الدرداء إلى مسلمة بن مُخلد: سلام عليك. أما بعد، فإن العبد إذا عمل بمعصية الله، أبغضه الله، فإذا أبغضه الله بغَّضه إلى عباده. وقال أبو وائل عن أبي

---

(١) قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٦٧): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.
(٢) السير للإمام الذهبي (٢/ ٣٣٨).

الدرداء: إني لآمركم بالأمر ولا أفعله، ولكن لعل الله يأجرني فيه، وقال أبو الدرداء ما لي أرى علماءكم يذهبون، وجُهَّالكم لا يتعلمون، تعلموا فإن العالم والمتعلم شريكان في الأجر.

وقال أبو الدرداء: لن تكون عالمًا حتى تكون متعلمًا، ولن تكون متعلمًا حتى تكون بما علمت عاملًا، إن أخوف ما أخاف إذا وقفت للحساب أن يقال لي: ما عملت فيما علمت؟.

وقال أبو الدرداء: ويلٌ للذي لا يعلم مرة، وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات. وعن شرحبيل أنَّ أبا الدرداء كان إذا رأى جنازة قال: أغدوا فإنا رائحون، وروحوا فإنا غادون، موعظة بليغة وغفلة سريعة كفى بالموت واعظًا يذهب الأول فالأول ويبقى الآخر لا حلم له.

وكان أبو الدرداء يقول: اللهم إني أعوذ بك من تفرقة القلب، قيل: وما تفرقة القلب؟ قال: أن يوضع في كل واد مال. وعن أبي الدرداء قال: استعيذوا بالله من خشوع النفاق، قيل: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يرى الجسد خاشعًا والقلب ليس بخاشع. وعن أبي الدرداء قال: لولا ثلاث ما أحببت البقاء: ساعة ظمأ الهواجر، والسجود في الليل، ومجالسة أقوام ينتقون جيد الكلام كما ينتقي أطايب الثمر[1].

أما مكانة أبي الدرداء ﷺ في قلوب الصحابة ﷺ فلقد احتل أبو الدرداء ﷺ مكانة سامية في قلوبهم. فعن مكحول كان الصحابة يقولون: أرحمنا بنا أبو بكر، وأنطقنا بالحق عمر، وأمينا أبو عبيدة، وأعلمنا بالحرام والحلال معاذ، وأقرأنا أُبيّ، ورجل عنده علم ابن مسعود وتبعهم عويمر أبو الدرداء بالعقل[2].

وقال ابن إسحاق: كان الصحابة يقولون أتبعنا للعلم والعمل أبو الدرداء، وعن يزيد ابن عميرة قال: لما حضرت معاذًا الوفاة قالوا أوصنا فقال: العلم والإيمان

---

(١) صفة الصفوة وسير أعلام النبلاء.

(٢) ابن عساكر (١٣/ ١٣٧١/ ١) نقلًا من السير (٢/ ٣٤١) تاريخ البخاري (٧/ ٧٧).

مكانهما من ابتغاهما وجدهما قالها ثلاثا فالتمسوا العلم عند أربعة عند عويمر أبي الدرداء وسلمان وابن مسعود وعبد الله بن سلام الذي كان يهوديا فأسلم[١]

وعن مسروق، قال: وجدت علم الصحابة انتهى إلى ستة: عمر وعليّ، وأبيّ، وزيد، وأبي الدرداء، وابن مسعود، ثم انتهى علمهم إلى عليّ وعبد الله[٢].

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يخاف من المظالم وكان « عندما تولى القضاء» يخشى من الظلم أيما خشية فعن يحيى بن سعيد، قال: كان أبو الدرداء، إذا قضى بين اثنين، ثم أدبرا عنه، نظر إليهما، فقال: أرجعا إليَّ أعيدا عليَّ قضيتكما[٣].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على إمام الذاكرين وسيد المستغفرين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

من مناقب أبي الدرداء رضي الله عنه حرصه على الأخوة الصادقة فعن أم الدرداء قالت: كان لأبي الدرداء ستون وثلاثمائة خليل في الله، يدعو لهم في الصلاة فقلت له في ذلك فقال إنه ليس رجل يدعو لأخيه في الغيب، إلا وَكَّلَ الله به ملكين يقولان: ولك بمثل.

أفلا أرغب أن تدعو لي الملائكة[٤].

---

(١)ابن عساكر(١٣/ ٣٧٣/ ١) نقلا من السير (٢/ ٢٤٣).
(٢) ابن عساكر (١٣/ ٣٧٣/ ٢) وأخرجه ابن سعد (٢/ ٣٥١)، وإسناده صحيح.
(٣) ابن عساكر (١٣/ ٣٨٥/ ٢) نقلا من السير (٢/ ٣٤٥).
(٤) ابن عساكر (١٣/ ٣٨٩/ ٢) نقلا من السير (٢/ ٣٥١).

وكان إذا رأى مسلمًا قد أذنب ذنبًا يأخذ بيديه إلى الله ولا يسلمه للشيطان فيجعله ييأس من رحمة الله - جل وعلا - فعن أبي قلابة، أن أبا الدرداء مر على رجل قد أصاب ذنبًا فكانوا يسبونه، فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب - بئر - ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى . قال: فلا تسبوا أخاكم واحمدوا الله عز وجل الذي عافاكم قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي[1].

ولقد كان أبو الدرداء صاحب قلب رقيق حتى إنه كان يبكي إذا رأى العذاب ينزل على أمةٍ كافرة فلقد كان يتمنى من سويداء قلبه أن يسلم الناس جميعًا لله - جل وعلا - لتشملهم رحمة الله التي وسعت كل شيء، فعن ابن جبير، عن أبيه، قال: لما فتحت «قبرص»، مُرَّ بالسبي على أبي الدرداء، فبكى، فقلت له: تبكي في مثل هذا اليوم الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ قال . يا جبير، بينا هذه الأمة قاهرة ظاهرة إذا عصوا الله فلقوا ما ترى ما أهون العباد على الله إذا هم عصوه[2].

وهكذا كان يعلل الهزائم التي تلحق بالأمم بأن السبب الأساسي فيها هو الوقوع في معصية الخالق - جل وعلا - وكيف لا وقد قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[يونس:١٣].

وقال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾[الطلاق:٩] وقال تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾[الحج:٤٥] ولأبي الدرداء وصية خالدة لأهل دمشق. ففي خلافة الفاروق - رضوان الله عليه - أراد من أبي الدرداء أن يلي له عملًا في الشام فأبى،[3] فأصر عليه، فقال أبو الدرداء: إذا رضيت مني أن أذهب إليهم لأعلمهم كتاب ربهم،

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٢٦٨).

(٢) ابن عساكر (١٣/ ٣٨٩/ ١) نقلًا من السير (٢/ ٣٥١).

(٣) أن يلي له عملا: أن يتولى له ولاية.

وسنة نبيهم وأصلي بهم ذهبت، فرضي منه عمر بذلك، ومضى هو إلى «دمشق» فلما بلغها وجد الناس قد أولعوا بالترف، وانغمسوا في النعيم، فهاله ذلك، ودعا الناس إلى المسجد، فاجتمعوا عليه فوقف فيهم، وقال: يا أهل دمشق أنتم الإخوان في الدين، والجيران في الدار، والأنصار على الأعداء .. يا أهل «دمشق» ما الذي بمنعكم من مودتي والاستجابة لنصيحتي وأنا لا أبتغي منكم شيئًا فنصيحتي لكم «ومؤنتي» على غيركم مالي أرى علماءكم[1] يذهبون وجهَّالكم لا يتعلمون؟! .. وأراكم قد أقبلتم على ما تكفل لكم به الله - عز وجل - وتركتم ما أمرتم به؟! مالي أراكم تجمعون ما لا تأكلون !! وتبنون ما لا تسكنون !! وتؤملون ما لا تبلغون !! لقد جمعت الأقوام التي قبلكم وأمَّلت .. فما هو إلا قليل حتى أصبح جمهم بورًا وأملهم غرورًا، وبيوتهم قبورًا[2] هذه «عادٌ» يا أهل دمشق - قد ملأت الأرض مالًا وولدًا .. فمن يشتري مني تركة عاد اليوم بدرهمين؟ فجعل الناس يبكون حتى سمع «نشيجهم» من خارج المسجد[3].

ومنذ ذلك اليوم طفق أبو الدرداء يؤم مجالس الناس في «دمشق» ويطوف بأسواقهم فيجيب السائل ويُعَلم الجاهل، وينبه الغافل، مغتنمًا كل فرصة مستفيدًا من كل مناسبة يؤم مجالس الناس[4].

وأما حِرْص أبي الدرداء رضي الله عنه على رعيته فلقد علم أبو الدرداء أنه راع وأنه مسئول أمام الله - جل وعلا - عن تلك الرعية. فكان يحرص على أن يظفر لأبنته بزوج صالح يعينها على أمر دينها، وإن كان لا يملك شيئًا من حطام الدنيا، وفي تلك الفترة التي قضاها في «دمشق» بعث إليه معاوية بن أبي سفيان يخطب ابنته الدرداء لابنه يزيد، فأبى أن يزوجها له، وأعطاها لشاب من عامة المسلمين رضي

---

(١) مؤنتي على غيركم: نفقتي على غيركم.

(٢) بورا: هالكا خربا.

(٣) نشيجهم: صوت بكائهم.

(٤) يتردد على مجالس الناس ويفشاها، صور من حياة الصحابة (ص٢١١: ٢١٢).

دينه وخلقه»، فسار ذلك في الناس، وجعلوا يقولون: خطب يزيد بن معاوية بنت أبي الدرداء فرده أبوها، وزوجها لرجل من عامة المسلمين.

فسأله سائل عن سبب ذلك ؟! .

فقال: إنما تحريت فيما صنعته صلاح أمر الدرداء . فقال: وكيف؟ فقال: ما ظنكم بالدرداء إذا قام بين يديها العبيد يخدمونها، ووجدت نفسها في قصور يخطف لألاؤها البصر .. أين يصبح دينها يومئذ؟! [1].

وبعد حياة طويلة مملوءة بالجهاد والطاعة والتضحية والفداء مضى أبو الدرداء إلى ربه تاركًا الدنيا بجسده كما تركها بقلبه من قبل .. فقد كان يعيش بجسده في الدنيا وقلبه يطير في جنة الرحمن التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. عن معاوية بن قرة أن أبا الدرداء اشتكى فدخل عليه أصحابه فقالوا: ما تشتكي؟ قال: أشتكي ذنوبي: قالوا فما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنة: قالوا: أفلا ندعو لك طبيبًا؟ قال: هو الذي أضجعني.

وكان رضي الله عنه يقول: أحب الموت اشتياقًا إلى ربي وأحب الفقر تواضعًا لربي وأحب المرض تكفيرًا لخطيئتي. وإذا بأم الدرداء تأخذ وصيتها الأخيرة من الزاهد الذي ترك الدنيا بكل زخارفها وزينتها قالت أم الدرداء لأبي الدرداء إن احتجت بعدك أأكل الصدقة؟ قال: لا . أعملي وكُلي . قالت: فإن ضعفت عن العمل. قال: التقطي السنبل ولا تأكلي الصدقة.

واقتربت اللحظات الأخيرة من حياة هذا البطل الزاهد، وإذا به يقول: من يعمل لمثل يومي هذا؟ من يعمل لمثل ساعتي هذه؟ من يعمل لمثل مضجعي هذا؟ ثم يقول: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام:١١٠].

عباد الله: وها هي أم الدرداء لحبها الشديد لأبي الدرداء تخطب أبا الدرداء من ربها لتكون له زوجة في الجنة فقامت وتوجهت إلى ربها وقالت: اللهم إن أبا الدرداء

(١) صور من حياة الصحابة (ص:٢١٤).

خطبني فتزوجني في الدنيا، اللهم فأنا أخطبه إليك، فأسألك أن تزوجنيه في الجنة، فقال لها أبو الدرداء: فإن أردت ذلك وكنت أنا الأول فلا تتزوجي بعدي، قال: فمات أبو الدرداء، وكان لها جمال وحسن. فخطبها معاوية فقالت: لا والله لا أتزوج زوجًا في الدنيا حتى أتزوج أبا الدرداء إن شاء الله - عز وجل - في الجنة [1]. وفاضت روحه الطاهرة على أرض دمشق سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله عنه، فرضي الله عن أبي الدرداء، وعن سائر الصحابة أجمعين.

اللهم اجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين، اللهم ألحقنا بالصالحين واجعلنا مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة ويذل فيه أهل المعصية. اللهم من ولي أمر المسلمين فيسر لهم فيسر له أمره وأصلح شأنه ومن ولي أمر المسلمين وشق عليهم فاشقق عليه ولا تجعل له تمكينًا في الأرض وقوموا إلى صلاتكم.

(١) صفة الصفوة (١/ ٢٦٨) بتصرف.

البراء بن مالك رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل البراء بن مالك رضي الله عنه عن عاشق الموت .. لو أقسم على الله لأبره.

إن السر في عظمة المقاتل الذي يقاتل في سبيل إعلام كلمة لا إله إلَّا الله إنه أحرص على الموت من حرص أعدائه على الحياة. وكان هذا هو السر في عظمة ضيفنا وبطلنا الذي نعيش معه من خلال تلك السطور، إنه البراء بن مالك البطل الكرَّار، صاحب رسول الله ﷺ وأخو خادم النبي ﷺ أنس بن مالك. شهد أحدًا وبايع تحت الشجرة[1].

(١) السيرة للإمام الذهبي (١/ ١٩٥).

إن من رأى البراء وهو يقاتل لا يستطيع أن يصدق نفسه من أول وهلة، فهو يرى رجلًا لا يقاتل من أجل الفوز والنصر فحسب !! بل يقاتل من أجل الفوز بالشهادة، فهو يبحث عن الجنة إينما كانت وكيفما كان الطريق إليها شاقًا وصعبًا وشعاره في ذلك «الله والجنة» ولذا كان عمر بن الخطاب يخشى أن يستعمله على جيش خوفًا من حرصه الشديد على الموت. فكتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الجيش: لا تستعملوا البراء على جيش، فإنه مهلكة من المهالك يقدم بهم [1]. والبراء ابن مالك رضي الله عنه فارس مغوار من فرسان الرسول ﷺ، ومن أعلام الفرسان الأبرار الأخيار الأطهار، ومن جملة كبار صحابة رسول الله ﷺ في الزهد الحقيقي. هذا الفارس أحد نبلاء الفرسان الأبطال الذين سجلوا أعظم الآثار وأعمق البصمات في ساحات المعارك في عصر النبوة الخالد.

كان أحد الأبطال الأفراد الذين يُضرب بهم المثل الحي في الفروسية وشدة البأس، وكان من فُضَلاء الصحابة الأنصار، وأحد السادة الأبرار. قتل من المشركين والكفار مائة رجل مبارزة.

وكان يركب الفرس وهي تُساق فيستوي على ظهرها بسير وسهولة. وهو البطل الكرار صاحب رسول الله ﷺ وأخو خادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك رضي الله عنه [2].

عباد الله: إن المصادر التي تحدثت عن البراء بن مالك رضي الله عنه لتشير إلى السِّمَة البارزة في شخصيته ألا وهي الجرأة والفروسية والإقدام. فأخبار البراء - رضوان الله عليه- تدور حول الفروسية والشجاعة والفدائية الحقة، فهو من أكابر فرسان الأنصار الميامين المشهورين بالشدة والبأس فحياة البراء رضي الله عنه كفاح في كفاح، وجهاد في جهاد.

كانت غزوة أُحد أول مشاهد البراء في صحبة رسول الله ﷺ وقد تابع حضور الغزوات، فحضر الخندق وأبلى فيها بلاءً حسنًا يشهد بشدته وقوته. ولما سار

(١) المستدرك (٣/ ٢٩١) وابن سعد (١:٧/ ١٠).

(٢) فرسان من عصر النبوة (ص: ٤٨٠).

رسول الله ﷺ إلى الحديبية سار البراء في معيته، وعندما أخذ المسلمون يبايعون رسول الله ﷺ بيعة الرضوان تحت الشجرة، التقت يمينه بيمين الرسول الكريم ﷺ، وبايعه على الموت ونزل قول الله عز وجل من فوق سبع سماوات مزكيًا هذه البيعة، وراضيًا عن المبايعين فقال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨].

وبعد تلكم البيعة المباركة الدَّالة على عمق الإيمان في نفوس الصحابة، تابع البراء - رضوان الله عليه - مسيرة الجهاد، والذود عن حياض الدين فحضر غزوة الفتح، وغزوة حنين، وغيرها من المشاهد في معية رسول الله ﷺ، إلى أن انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى وهو يبارك فروسية البراء بن مالك رضي الله عنه وبطولته الخارقة. ولكن هل توقفت مسيرة الفروسية في حياة الفارس المقدام البراء بن مالك؟ لا، إن الطريق لا يزال طويلًا أمام البراء، وهو ما يزال في ريعان الشباب، ومقتبل العمر، يتأجج حماسة للقتال ولقاء الأعداء، فإذا ما اشتعل فتيل المعركة يثور البراء ليدمر أمامه كل ما يجده من قوى الشر والطغيان فلا يأبه للفرسان ولا للحصون ولا للرماح والسيوف، وإنما يجرف كل ما يلقاه في طريقه بقوة الإيمان، وعميق الإخلاص والتفاني في الإقدام وشدَّة الساعد، ومنع قوى الشر أن تشرئب أو تتطاول، وسنشهد موقفًا من مواقفه هذه في معركة اليمامة[1].

ومن مناقب البراء بن مالك رضي الله عنه أنه مستجاب الدعوة إذ لو أقسم على الله لأبرَّ إليه قسمه قال ﷺ: «**كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك**».

وعن أنس مرفوعًا قال: «**كم من ضعيف متضعف ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك**»[2] فلم ينس أصحاب النبي ﷺ تلك المنقبة للبراء.

---

(١) فرسان من عصر النبوة (ص: ٤٨٢: ٤٨٣).

(٢) رواه الترمذي والضياء عن أنس، وصححه الألباني، صحيح الجامع(٤٥٧٣).

عباد الله: وبعد وفاة النبي ﷺ ورحيله عن دنيا الناس بدأت قبائل العرب ترتد عن الإسلام وجاءت الفتن من كل حَدب وصوب، وكادت شمس الإسلام أن تغيب لولا أن الله قد تعهد بحفظ هذا الدين. فقام أبو بكر رضي الله عنه يتصدى لفتنة الردة. وصدق من قال: « لقد حفظ الله الإسلام يوم الردة بأبي بكر، ويوم المحنة بأحمد بن حنبل » فصمد أبو بكر صمود الجبال أمام تلك الفتنة التي كادت أن تقضي على الأخضر واليابس، وعقد الألوية لقادة الجيوش المسلمة ليقضوا على تلك الفتنة ويعيدوا الناس إلى دين الله - جل وعلا - قال ابن إسحاق: ولما توفي رسول الله عظمت به مصيبة المسلمين، فكانت عائشة فيما بلغني تقول: لما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب، واشرأبت اليهودية والنصرانية، ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لِفَقْدِ نبيهم ﷺ حتى جمعهم الله على أبي بكر[1].

لقد كانت حروب الردة - التي استمرت ملتهبة حوالي سنة كاملة - أعنف ما شهد العرب والمسلمون في تاريخهم العسكري وأبرزت هذه الحروب وكشفت معادن الرجال .. وخالد بن الوليد لم يقم أي محارب مقامه في منازلة أهل الردة والقضاء على فتنهم، وكانت مسرح أعماله الرئيسية منطقة «بزاخة» ببلاد بني أسد، ومنطقة البطاح في ديار بني تميم، ومنطقة اليمامة موطن بني حنيفة وكانوا أكثر وأشرس قوة قارعها خالد في حياته. قلت ما سمعتم وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه والشكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) السيرة ، لابن هشام (٤/ ٢٩١).

أما بعد:

ما زال حديثنا حول حروب الردة، وكان أول جيش بقيادة عكرمة بن أبي جهل فهزمه مسيلمة، وبعد أن فشل عكرمة بن أبي جهل، وشرحبيل بن حسنة في القضاء على المرتدين في اليمامة، سار إليها خالد، فلما كان على بعد ليلة من معسكر مسيلمة، هجم على مفرزة من بني حنيفة بإمرة مجاعة بن مرارة الحنفي قوتها ما بين ثلاثين أو أربعين فارسًا، فأسرهم وقتل أصحاب مجاعة واستحياه رهنية لشرفه في بني حنيفة والتقى الجمعان في عقرباء، واشتد القتال، وتكسرت في يد خالد تسعة سيوف، واشتد القتال بشكل لم يسبق له مثيل، وانهزم المسلمون حتى دخل بنو حنيفة فسطاط خالد، ولكن المسلمين عادوا فاستقتلوا: فقال خالد: يا أيها الناس، امتازوا - تميزوا وانفصلوا - لنعلم بلاء كل حي ولنعلم من أين نؤتى» وكان النصر بعد جهد جهيد لأنصار دين الله، وانتصر ثلاثة عشر ألف مسلم على رجال مسيلمة وعددهم حوالي أربعين ألف مقاتل أو أكثر، وقُتِلَ من بني حنيفة في معركة اليمامة أربعة عشر ألفًا وقتل منهم في الطلب سبعة آلاف، وقُتِلَ عدو الله مسيلمة وقُتِلَ من المسلمين ثلاثمائة وستون من المهاجرين والأنصار، وثلاثمائة من المهاجرين من غير أهل المدينة، وثلاثمائة من التابعين وقُتِلَ من القراء خمسمائة، فكان جملة من قُتِلَ من المسلمين ألفًا ومائتي شهيد، أي أن نسبة شهداء المسلمين إلى قتلى المشركين تعادل ستة بالمائة فقط، وهذا يُعَدُّ من أروع الانتصارات[1] ولكن ذلك كله كان يتضاءل أمام البطولات النادرة التي قام بها البراء رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين.

عن أنس رضي الله عنه قال: إن خالد بن الوليد قال للبراء رضي الله عنه يوم اليمامة: قم يا براء، قال: فركب فرسه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل المدينة، لا مدينة لكم اليوم، وإنما هو الله وحده والجنة ثم حمل وحمل الناس معه، فانهزم أهل اليمامة، فلقي البراء رضي الله عنه محكم اليمامة قائد جيش مسيلمة فضربه البراء وصرعه فأخذ سيف

---

(١) نقلًا من علو الهمة، د/ سيد حسين (٣/ ٥٤٩- ٥٥٠)بتصرف.

محكم اليمامة، فضرب به حتى انقطع[١].

وعند البغوي عن البراء رضي الله عنه قال: لقيت يوم مسيلمة رجلًا يقال: له حمار اليمامة، رجلًا جسيمًا بيده سيف أبيض، فضربت رجليه فكأنهما أخطأته وانقعر فوقع على قفاه، فأخذت سيفه وأغمدت سيفي[٢] فما ضربت به ضربة حتى انقطع[٣].

أما عن قتل مسيلمة وهزيمة المرتدين في حديقة الموت، فعن ابن إسحاق قال: زحف المسلمون إلى المشركين حتى ألجئوهم إلى الحديقة، وفيها عدو الله مسيلمة، فقال أي البراء: يا معشر المسلمين القوني عليهم، فاحتمل حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم، فقاتلهم على الحديقة حتى فتحها على المسلمين ودخل عليهم المسلمون، فقتل الله مسيلمة[٤].

وفي رواية: أن البراء يوم حرب مسيلمة الكذاب أمر أصحابه أن يحتملوه على ترس، على أسنة رماحهم ويلقوه في الحديقة، فاقتحم إليهم وشد عليهم، وقاتل حتى افتتح باب الحديقة، فجرح يومئذ بضعة وثمانين جرحًا، ولذلك أقام خالد بن الوليد عليه شهرًا يداوي جراحه[٥].

وقد اشتهر أن البراء قتل في حروبه مئة نفس من الشجعان مبارزة. وعلى الرغم من ذلك لم يظفر البراء بالشهادة التي يشتاق إليها مع كل نبضة من نبضات قلبه .. فهو يريد أن يغمض عينيه فيجد نفسه في حواصل طير خضر تطير به إلى خيمة الشهداء تحت ظل عرش الرحمن، ثم يلحق بالنبي ﷺ وأصحابه في جنات الخلود التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

عباد الله: ولقد كان البراء على يقين من أن الله - عز وجل - سيرزقه الشهادة بل

---

(١) حياة الصحابة (٢/ ١٢٧).
(٢) انقعر: أي قطع من أسفله.
(٣) الإصابة: للحافظ ابن حجر (١/ ٤١٤).
(٤) الإصابة (١/ ٤٣١) الاستيعاب لابن عبد البر (١/ ١٣٨).
(٥) الإصابة (١/ ٢٣٦)، الاستيعاب لابن عبد البر (١/ ٢٨٧).

لقد علم من نبيه ﷺ به مستجاب الدعوة وأنه لو أقسم على الله لأبر الله قسمه، ولذلك فهو مطمئن غاية الاطمئنان وكله ثقة في رحمة الله.

عن أنس قال: دخلت على البراء وهو يتغنى، ويُرنم قوسه، فقلت: إلى متى هذا؟ قال: أتراني أموت على فراشي؟ والله لقد قتلت بضعًا وتسعين[1]. وفي رواية يا أخي تتغنى بالشعر وقد أبدلك الله به القرآن؟ وظل بطلنا في شوق وحنين لتلك الأمنية الغالية - ألا وهي الشهادة في سبيل الله - إلى أن جاء يوم فتح تستر من بلاد فارس فقد تحصن الفرس في إحدى القلاع الممردة فحاصرهم المسلمون وأحاطوا بهم إحاطة السوار بالمعصم، فلما طال الحصار واشتد البلاء على الفرس جعلوا يدلون من فوق أسوار القلعة سلاسل من حديد، علقت بها كلاليب من فولاذ حميت بالنار حتى غدت أشد توهجًا من الجمر، فكانت تنشب في أجساد المسلمين وتعلق بها، فيرفعونهم إليهم إما موتى وإما على وشك الموت.

فعُلِّق كُلَّاب منها بأنس بن مالك - أخي البراء بن مالك - فما إن رآه البراء حتى وثب على جدار الحصن. وأمسك بالسلسلة التي تحمل أخاه، وجعل يعالج الكلاب ليخرجه من جسده، فأخذت يده تحترق وتدخن، فلم يأبه لها حتى أنقذ أخاه وهبط إلى الأرض بعد أن غدت يده عظامًا ليس عليها لحم.

عباد الله: ولئن كان البراء بن مالك ﷺ فارسًا لا يشق له غبار، لقد كان تقيًا نقيّ القلب، صافي السريرة لا ترد له دعوة عند الله عز وجل. ولقد كانت أمنيته الكبرى أن يلقى الله عز وجل شهيدًا، وذلك لما يعلم ما أعد الله تعالى للشهداء ..ويبدو أنه كان يردد كثيرًا قول الله عز وجل عن الشهداء ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩].

إذن، فما أجمل الحياة عند المليك المقتدر؟! وما أعلاها من مرتبة لا تُقدر![2] ولما

---

(١) الطبقات لابن سعد (٧/ ١٠) وقال الأرنؤوط إسناده صحيح

(٢) فرسان في عصر النبوة (ص٤٩٣).

اشتد القتال، وجالد الأعداء، وبلغت القلوب الحناجر، قال بعض المسلمين للبراء: يا براء إن رسول الله ﷺ قال: إنك لو أقسمت على الله لأبرك، فأقسم على الله، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم.

ثم التقوا على قنطرة السوس، فأوجعوا في المسلمين، فقالوا: أقسم يا براء على ربك، فقال:- أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيّي ﷺ » فمُنِحُوا أكتافهم وقتل البراء شهيدًا [1] فرضي الله عن البراء وعن سائر الصحابة أجمعين.

اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين غير خزايا ولا مفتونين، اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة ويذَل فيه أهل المعصية، اللهم من ولي أمر المسلمين فشق عليهم فاشقق عليه ولا تجعل له تمكينًا ومن ولي أمر المسلمين ويَّسر لهم فيسِّر أمره وأصلح شأنه ومكنه في الأرض اللهم عليك باليهود وسائر المشركين والكافرين أعداءك أعداء الدين اللهم شتت شملهم وفرق جمعهم واجعل الدائرة عليهم إلى يوم الدين، اللهم أرنا في الظلمة عجائب قدرك، اللهم اشف مرضى المسلمين وعاف مبتلاهم واجبر كسيرهم، وأطعم جوعاهم واسق عطشاهم، واكس عاريهم، واحقن دماءهم ربنا دعوناك فاستجب لنا كما وعدتنا إنك لا تخلف الميعاد وقوموا إلى صلاتكم.

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٩٢) وصححه ووافقه الذهبي.

أُسيد بن حضير رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله عن الصحابيِّ الجليل أسيد بن الحضير رضي الله عنه هو أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة، أسلم قديمًا وكان أبوه شريفًا مطاعًا يدعى حضير الكتائب، وكان رئيس الأوس يوم بعاث[1] ، فقتل يومئذ قبل عام الهجرة بست سنين، وكان أسيد يعد من عقلاء الأشراف وذوي الرأي[2] بل لقد ورث عن أبيه شجاعته وجوده ورجاحة رأيه فكان من زعماء المدينة وأشراف العلم قبل أن يسلم، فلما أسلم أصبح واحدًا من أشراف الدنيا بأسرها .. وكيف لا

---

(١) بعاث: موضع في نواحي المدينة كانت به وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية.
(٢) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (١/ ٣٤١).

يصبح واحدًا من أشراف الدنيا كلها وأصحاب النبي ﷺ هم خير البشر بعد الأنبياء والمرسلين - عليهم صلوات ربي وسلامه - كانت ولادته في المدينة المنورة، تلك المدينة الخالدة التي دخلت التاريخ من أوسع أبوابه ومن فوق هضابها السمر جيشت الجيوش،وهيئت الكتائب لنشر دين الله، وعرفت دروب المدينة أسيد بن الحضير، ذلك الفتى الشجاع، الذي يمتطي صهوات الخيل، ويحب مكارم الأخلاق. وحين قتل والده في يوم بعاث توجته القبيلة رئيسًا لها خلفًا عن والده، وتحمل تبعات الحياة، وعرك سياسة الأفراد مبكرًا. وكان صديق طفولته وشبابه ومستشاره في همومه الكبار وتبعاته الجسام سعد بن معاذ فتى الفتيان وفارس الشجعان في الجاهلية. وكان سعد وأسيد لا يفترقان في ظعن أو إقامة، ولا يتباعدان إلا عندما يأوي كل منهما إلى فراشه وكانت لهما جلستهما المفضلة تحت ظلال النخيل الذي يحيط ببئر مرق خارج المدينة يجلسان كل يوم يسامران، ويتشاكيان ويدبران شئون الأوس، ويستعدان لجولة جديدة مع قبيلة الخزرج، يثأران فيها لحضير قتيل موقعة بعاث.

وفي يوم من الأيام وهما يجلسان في مجلسهما هذا، جاء إليهما كعب بن الحارث، وأخذ يحدثهما عن رجل يدعى: مصعب بن عمير، جاء من مكة ونزل ضيفًا على أسعد بن زرارة، وهو يدعو إلى دين الإسلام، ويقول: إنه رسول من قبل النبي ﷺ الذي ظهر بمكة[1] .

عباد الله: وها هي شمس الهداية تشرق على قلب أسيد بن الحضير رضي الله عنه لما أرسل الحبيب ﷺ مصعب بن عمير إلى المدينة ليدعو الناس إلى الإسلام وليعلم المسلمين أمور دينهم فنزل مصعب على أسعد بن زرارة أحد أشراف الخزرج وجعل من منزله قاعدة ينطلق من خلالها للدعوة إلى الله - جل وعلا - وكان مصعب رضي الله عنه جميل المنظر، طيب السمت. عذب الحديث، واضح الحجة، رقيق الشمائل، ينبعث نور الإيمان من قلبه إلى وجهه مباشرة فكأن الشمس تحري في جبينه وكان صوته عذبًا إذا

(١) صورة من سير الصحابة، عبد الحميد السحيباني (ص٥٥٢- ٥٥٣).

قرأ القرآن .. فاستطاع أن يستميل الناس إليه وأن يجعلهم يشعرون بنعمة الإسلام فكان لا يأتيه رجل مهما كان قدره ومهما كانت قسوته وشدته فيستمع إليه إلا رَقّ قلبه ودمعت عينه ودخل في دين الله جل وعلا. ودعونا نعيش تلك اللحظات الجميلة مع قصة إسلامه .

روى ابن إسحاق قصة إسلام أُسيد بن حضير ﷺ مفادها أن مصعب بن عمير اجتمع بأسعد بن زرارة من أشراف الخزرج وذهب إليهما أُسيد بن حضير لمنعهما من دعوة قومه إلى الله فطالبه مصعب بالجلوس ليسمع منه وقال له: إن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهت كف عنك ما تكره، فكلمه مصعب وقرأ عليه القرآن فأسلم ثم قال لهما: إن ورائي رجلًا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن سعد بن معاذ فقدم سعد بن معاذ إلى مصعب بن عمير وأسعد بن زرارة فوقف عليهما متشتمًا فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب، أوَتجلس فتسمع، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره؟ قال: أنصفت وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن، فأسلم ثم رجع إلى قومه فقال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا [وأوصلنا] وأفضلنا رأيًا قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله.

قالا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلَّا مسلمًا ومسلمة ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا فيها رجالٌ ونساء مسلمون[1].

وهكذا جعل الله أُسيدًا سببًا في إسلام سعد بن معاذ - ومن ثم سببًا في إسلام قومه. ولما أذن الله لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة كاد أسيد أن يطير قلبه فرحًا بقدوم

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٣٨/ ٤٣٩) وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ٤٢)، وقد رواه الطبراني مرسلًا وذكر ابن كثير في البداية (٣/ ١٥٢) من طرق ابن إسحاق وإسناده صحيح.

الحبيب ﷺ ليقبس من علمه وهديه وأخلاقه .. وقبل ذلك كله ليسعد برؤية الحبيب ﷺ ولينعم بمرافقته.

ومنذ تلك اللحظة الخالدة وأُسيد بن حضير ينهل من هذا المعين العذب وهو يصوم النهار ويقوم الليل ويعيش مع آيات القرآن ويقرؤه بكل حب وإخلاص لدرجة جعلت أصحاب النبي ﷺ يترقبون تلك الساعات التي يقرأ فيها أسيد القرآن، ويتسابقون إلى سماع تلاوته، وليس هؤلاء فحسب .. بل إن ملائكة الرحمن نزلت بأمر الله لتستمع إلى أسيد وهو يقرأ القرآن.

فعن أبيّ سعيد الخدري ﷺ : أن أُسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده إذ جالت فرسه فقرأ[1] ثم جالت أخرى، فقرأ ثم جالت أيضًا، قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى، فقمت إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها قال: فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي، إذ جالت فرسي، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ ابن حضير» قال: فقرأت ثم جالت أيضًا فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ ابن حضير» قال: فقرأت. ثم جالت أيضًا. فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ ابن حضير» قال: فانصرفت وكان يحيى قريبًا منها خشيت أن تطأه فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها. فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الملائكة كانت تسمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم**»[2] .

قلت ما سمعتم وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) المربد: الموضع الذي يبس فيه التمر.
(٢) أخرجه مسلم (٧٩٦)، وأحمد (٣/ ٨١).

الحمد لله ولي الصالحين، وجعل الصحابة من أفضل عباده بعد النبيين، فهم الأمناء على حمل الرسالة وهم من خير القرون أجمعين، وهم الأدلاء على التجارة الرابحة إلى يوم الدين.

أما بعد:

ولقد بلغ أُسيد درجة عالية في العبادة حتى كان الصحابة ش يعرفون له قدره ومنزلته. بل ها هي أمنا عائشة ﷺ تقول: ثلاثة من الأنصار من بني عبد الأشهل لم يكن أحد يعتد عليهم فضلًا بعد رسول الله ﷺ سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وعباد بن بشر ش [١] ومنذ أن امتلأ قلبه بهذا النور العظيم أحس أسيد أن الكون كله من حوله قد امتلأ بهذا النور حتى إن هذا النور خرج مرة من عصاه وهو يمشي في ضوئها. فعن أنس أن أسيد بن حضير وعباد بن بشر كانا عند رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء حندس قال: فلما خرجا من عنده أضاءت عصا أحدهما فكانا يمشيان في ضوئها فلما تفرقا أضاءت عصا هذا وعصا هذا [٢].

ولقد كان « أُسيد» شديد الحب لرسول الله ﷺ حتى إن أمنا عائشة ﷺ كانت تقول: كان أُسيد بن حضير من أفاضل الناس، وكان يقول: لو أني أكون كما أكون على أحوال ثلاث لكنت حين أسمع القرآن أو أقرؤه وحين أسمع خطبة رسول الله ﷺ وإذا شهدت جنازة [٣].

وكان النبي ﷺ يبادله هذا الحب ويُكنُّ له كل محبة وتقدير في قلبه فكان إذا ذكره قال: «نعم الرجل أسيد بن الحضير» [٤] ولكن أسيد لم يكتف بمجرد ذكر الرسول ﷺ له بتلك المنقبة، بل كان يتمنى أن يمس جسده جسد النبي ﷺ لتحصل له البركة

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٢٩) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٩٠) والحاكم (٣/ ٢٨٨)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) الإصابة للإمام ابن حجر العسقلاني (١/ ٢٣٥).

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٤٥٤) وصححه الحاكم (٣/ ٢٨٩) ووافقه الذهبي.

بملامسة جسد الحبيب ﷺ .

فعن عبد الرحمن بن أبيّ ليلي، عن أبيه قال: كان أُسيد بن حضير رجلًا صالحًا ضاحكا مليحًا، فبينما هو عند رسول الله ﷺ يحدث القوم ويضحكهم فطعنه رسول الله ﷺ في خاصرته فقال: أوجعتني. قال: «اقتص» قال: يا رسول الله إن عليك قميصًا، ولم يكن عليّ قميص. قال: فرفع رسول الله ﷺ: قميصه فاحتضنه ثم جعل يقبل كشحه فقال: بأبيّ أنت وأمي يا رسول الله أردت هذا[1] .

ولقد اختلف في شهوده غزوة بدر - والراجح إنه لم يشهدها - ولكنه شهد أحدًا وجرح يومئذ سبع جراحات، وثبت يومئذ مع رسول الله ﷺ حين انكشف الناس وشهد الخندق والمشاهد بعدها مع رسول الله ﷺ[2] أما موقف أُسيد بن حضير ﷺ في غزوة بني المصطلق ففي تلك الغزوة تفجرت ينابيع النفاق من قلب المنافق الخبيث - عبد الله بن أُبيّ بن سلول - وأراد أن يؤلب الناس على رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال لهم: أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من حضره من قومه، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم: أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوَّلوا إلى غير داركم، فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى به إلى رسول الله ﷺ، وذلك عند فراغ رسول الله من عدوه، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب، فقال: مر به عباد بن بشر فليقتله ، فقال له رسول الله ﷺ: «فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه» لا ولكن أذِّن بالرحيل، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها، فارتحل الناس[3].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٨٨) وقال: صحيح الإسناد، الكشح: ما بين الخاصرة والضلوع.

(٢) صفة الصفوة (١/ ٢١٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٨/ ٧٥) وذكره ابن حجر في الفتح (٨/ ٥١٧) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وقال : وهو مرسل جيد .

وقد مشى عبد الله بن أُبيّ بن سلول إلى رسول الله ﷺ حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بَلَّغَهُ ما سمع منه، فحلف بالله: ما قلت ما قال، ولا تكلمت به - وكان في قومه شريفًا عظيمًا - فقال من حضر رسول الله من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل،حدبًا على ابن أبيّ سلول، ودفعًا عنه. وهنا تتجلى حكمة أسيد في هذا الموقف فإنه لما استقل رسول الله ﷺ وسار، لقيه أسيد بن حضير، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه، ثم قال: يا نبي الله، والله لقد رحت في ساعة منكرة، ما كنت تروح في مثلها، فقال له رسول الله ﷺ: « أوَما بلغك ما قال صاحبكم؟ قال: وأي صاحب يا رسول الله؟ قال: عبد الله بن أبيّ، قال: وما قال؟ قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليُخرجَنَّ الأعز منها الأذل. قال: فأنت يا رسول الله والله تُخرجه منها إن شئت هو والله الذليلُ وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله، ارفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكًا [1].

وبعد وفاة الحبيب ﷺ ظل أسيد على طريق الصادقين عابدًا خاشعًا مخبتًا لا يفتر أبدًا عن قراءة القرآن ولا عن ذكر الواحد الديان.

عباد الله: ولما توفي رسول الله ﷺ وكادت أن تشتعل نار الفتنة بين أصحاب الحبيب ﷺ حول اختيارهم لخليفة رسول الله ﷺ .. وبعد مناقشات طويلة قام زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وإنما الإمام من المهاجرين، فنحن أنصار الله، كما كنا أنصار رسول الله، فقال أبو بكر: جزاكم الله خيرًا.

وعند الإمام أحمد: فتكلم أبو بكر، فقال: والله لقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال ، وأنت قاعد: «قريش ولاة هذا الأمر» فقال له سعد: صدقت[2]. قال ابن حجر: وفي رواية ابن عباس عن عمر:

---

(١) السيرة لابن هشام (٣/ ٢٦٤- ٢٦٥) بتصرف.

(٢) فتح الباري (٧/ ٣٨).

قال: فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى خشينا الاختلاف فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم الأنصار. وفي «مغازي موسى بن عقبة» عن ابن شهاب قال: فقام أسيد بن حضير وبشر بن سعد وغيرهما من الأنصار فبايعوا أبا بكر، ثم وثب أهل السقيفة يبتدرون البيعة.

وهكذا كان أسيد رضي الله عنه من الأنصار المبادرين إلى مبايعة أبي بكر رضي الله عنه بل ومن الذين جعلهم الله سببًا في وأد الفتنة في مهدها قبل أن تصبح نارًا لا يرى أولها من آخرها. ولقد عرف أبو بكر قدر أسيد، وكذلك عمر - رضي الله عنهم جميعًا - بعد أن صار أمير المؤمنين وعاش أسيد حتى خلافة الفاروق، واختاره الله إلى جواره في عهد عمر، فمات وعليه أربعة آلاف درهم فهمَّ ورثته أن يبيعوا أرضه لسداد دينه، فلما وصل الخبر إلى عمر قال: لا أترك بني أخي عالة على الناس. ثم كَلَّمَ الغرماء فرضوا بأن يشتروا منه ثمر الأرض أربع سنين كل سنة بألف. وهكذا حفظه الله بعد موته كما دافع عن نبيه ﷺ في حياته، فرضي الله عن أسيد وعن سائر الصحابة أجمعين.

اللهم اجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين، اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رُشد يعز فيه أهل الطاعة ويذل فيه أهل المعصية اللهم انصر الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداءك أعداء الدين، وقوموا إلى صلاتكم.

النعمان بن مقرن رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل النعمان بن مقرن رضي الله عنه كان هذا الصحابي من قبيلة مزينة وهي قريبة من يثرب - المدينة- وكان الحبيب ﷺ بعد أن ضاقت «مكة» به وبأصحابه قد أشار على أصحابه بالهجرة إلى يثرب - المدينة - ليكونوا في رحاب إخوانهم من الأنصار الذين وصفهم الله تعالى في كتابه فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

ولما أذن الله لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة فهاجر إليها لعله يجد أرضًا خصبة

تقبل هذا الغرس المبارك وتفتح قلبها لتلك الدعوة التي تحمل في طياتها سعادة الدنيا والآخرة. وما إن وصل الحبيب ﷺ حتى وجد قلوبًا طاهرة مشرقة بالإيمان والتوحيد، فأقام الحبيب بين هؤلاء الأطهار الذين بذلوا المال والنفس من أجل إعلاء كلمة (لا إله إلا الله) ، بل واستعذبوا العذاب في سبيل نصرة هذا الدين.

وكانت أخبار الحبيب ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار تصل إلى أسماع قبيلة مزينة التي كان - النعمان بن مقرن - سيدًا من سادتهم. فلما أراد الله - عز وجل - الخير لهذه القبيلة فتح قلب سيدهم النعمان بن مقرن ليستقبل هذا النور وليكون هو وقبيلته أنصار لله ولرسوله ﷺ امتثالًا لأمر الله - جل وعلا - كونوا أنصار الله.

فقام النعمان في تلك اللحظة التي أنعم الله عليه فيها بنعمة الهداية فجمع إخوانه وعشيرته وقال لهم: يا قوم والله ما علمنا عن محمد إلا خيرًا، ولا سمعنا من دعوته إلا مَرْحَمَةً وإحسانًا وعدلًا، فما بالنا نبطئ عنه، والناس إليه يسرعون؟! ثم أتبع يقول: أما أنا فقد عزمت على أن أغدو عليه إذا أصبحت فمن شاء منكم أن يكون معي فليتجهز، وكأنما مسَّت كلمات النعمان وترًا مُرهفًا في نفوس القوم، فما إن طلع الصباح حتى وجد إخوته العشرة وأربعمائة فارس من فرسان (مزينة) قد جهزوا أنفسهم للمضي معه إلى يثرب للقاء النبي صلوات الله وسلامه عليه، والدخول في دين الله[1].

عباد الله: وإذا بهذا الوفد يخطو خطواته المباركة نحو السعادة الأبدية ليعلنوا إسلامهم بين يدي الحبيب ﷺ وليدخلوا جنة الدنيا التي سوف تثمر لهم جنة الآخرة - إن شاء الله - وإذا بالنعمان يجمع بعض الهدايا - من الأغنام وغيرها - من بيته وبيوت إخوته ليقدم بها على الحبيب ﷺ وأقدامه تسابق الريح. وما إن وصل النعمان وإخوته وعشيرته إلى يثرب «المدينة» وإذ بهم يرون السعادة والبهجة والفرحة تكسو وجوه أصحاب الحبيب ﷺ فرحًا بقدومهم. وإذ بهذا الوفد السعيد يعلن إسلامه بين يدي الحبيب ﷺ ويخالط الإيمان شغاف قلبه لأول مرة. وسعد

(١) صور من حياة الصحابة (ص١٩٠).

النبي ﷺ بإسلام النعمان سعادة يعجز القلب عن وصفها، فلقد كان بيت النعمان هو أول بيت يسلم منه أحد عشر أخًا في وقت واحدٍ.

ولذا قال عبد الله بن مسعود ﷺ: إن للإيمان بيوتًا وللنفاق بيوتًا وإن من بيوت الإيمان بيت ابن مقرن. ولما قدَّم النعمان الهدايا للحبيب ﷺ تقبلها منه وأنزل الله في شأن النعمان ومن معه قرآنا فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:٩٩].

وعاش النعمان في رحاب الحبيب ﷺ ليقبس من هديه وعلمه وأخلاقه السامية العذبة الرقراقة ولقد أحب النبي ﷺ حبًّا جمًّا ملك عليه لبَّه وفؤاده وكان قلبه يحترق شوقًا لنصرة هذا الدين؛ لكي يستدرك كل ما فاته من الخير قبل أن يدخل الإسلام ويشعر بنعمة الإيمان. وإذا بالنعمان يبذل نفسه وماله لله - جل وعلا - فقام - وقد باع نفسه لله - ليشهد المشاهد، فكان يقاتل كالأسد في عرينه يشق صفوف المشركين ويصيب قلوبهم بالرعب من جرأته وشجاعته وإقدامه .. فشهد مع النبي ﷺ غزوة الخندق وأبلى فيها بلاءً حسنًا. وكان مع النعمان لواء مزينة في غزوة فتح مكة.

وبعد مدة ليست بالطويلة وإذا بالحبيب ﷺ يرحل عن دنيا الناس وتفيض روحه إلى بارئها - جلا وعلا - فيحزن النعمان حزنًا شديدًا كاد أن يمزق قلبه، وضاقت عليه الدنيا بما فيها وجلس يتذكر تلك اللحظة الخالدة يوم أن دخل المدينة وأسلم بين يدي الحبيب ﷺ. وظل النعمان متمسكًا بهدي الحبيب ﷺ وسُنَّته مدافعًا عن دينه وشريعته. ولما آلت الخلافة إلى أبي بكر ﷺ كان للنعمان وإخوته وعشيرته من بني مزينة مواقف مشرقة في القضاء على تلك الفتنة التي كادت أن تقضي على الأخضر واليابس - ألا وهي فتنة الردة - فإنه لما أغار المرتدون على المدينة المنورة ركب الصديق في أهل المدينة وأمراء الأنقاب، إلى من حول المدينة من الأعراب الذين أغاروا عليها، فلما تواجه هو وأعداؤه من بني عبس، وبني مرة، وذبيان.

ومن ناصب معهم من بني كنانة، وأمدهم طليحة بابنه جبال، فلما تواجه القوم كان الأعراب قد صنعوا مكيدة وهي أنهم عمدوا إلى أنحاء مثل القرب فنفخوها ثم أرسلوها من رؤوس الجبال، فلما رأتها أبل أصحاب الصدِّيق نفرت وذهبت كل مذهب، فلم يملكوا من أمرها شيئًا إلى الليل، وحتى رجعت إلى المدينة. فلما وقع ما وقع ظن القوم بالمسلمين الوهن، وبعثوا إلى عشائرهم من نواحي أخر، فاجتمعوا وبات أبو بكر رضي الله عنه قائمًا ليله يعبئ الناس، ثم خرج على تعبئة من آخر الليل، وعلى ميمنته النعمان بن مقرِّن، وعلى الميسرة أخوه عبد الله بن مقرن وعلى الساقة أخوهما سويد بن مقرن، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد، وما سمعوا للمسلمين حسًّا ولا همسًا، حتى وضعوا فيهم السيوف، فما طلعت الشمس حتى ولوهم الأدبار وغلبوهم واستولوا على أكثر ركائبهم، واتبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القَصَّة، وكان ذلك أول الفتح، وذل به المشركون، وعز به المسلمون، ووثب بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين فقتلوهم، وفعل من ورائهم كفعلهم فحلف أبو بكر ليقتلنَّ من كل قبيلة عدد من قتلوا من المسلمين وزيادة. فكانت هذه الواقعة من أكبر العون على نصر الإسلام وأهله، وذلك أنه عز المسلمون في كل قبيلة، وذُل الكفار في كل قبيلة، ورجع أبو بكر إلى المدينة مؤيدًا منصورًا، سالمًا غانمًا[1] ولما توفي الصديق وآلت الخلافة للفاروق لم يتأخر النعمان ومن معه لحظة واحدة عن خدمة هذا الدين والذود عن حياضه فإنه لمَّا نشب القتال في القادسية أبلى فيه النعمان بلاء الأبطال، وقاتل فيه قتال الليوث.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) تاريخ الطبري (٨/ ٤٧٨) بتصرف.

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين والعاقبة للمتقين وأصلي وأسلم على محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

أما جهاد النعمان بن مُقرِّن ﷺ في يوم تَسْتُر في مواجهة الفرس فلما حضَّ يزدجر أهل فارس للدفاع عن بلادهم وأثمرت محاولاته توحيد جهود الفرس، وأهل الأهواز في سبيل صد عدوهم المشترك، فأخبر قادة المسلمين في الأهواز عمر بن الخطاب، فكتب عمر إلى سعد: ابعث إلى الأهواز جندًا كثيفًا مع النعمان بن مُقرِّن وعجل - أسرع - فلينزلوا بإزاء الهرمزان ويتحققوا أمره[1] وتحرك النعمان بأهل الكوفة إلى الأهواز على البغال يجنبون الخيل، فلما وصلها بادر إلى مهاجمة جيش الهرمزان في «رام هرمز» فهزم الفرس، وفتح المدينة ولجأ الهرمزان إلى مدينة تُسْتُر فسار النعمان بقوات الكوفة إليه، وسارت قوات البصرة إلى تستر أيضًا وأمدهم عمر بأبي موسى الأشعري، وجعله على أهل البصرة، وجعل أبا سبرة بن أبي رهم قائدًا عامًّا على الجميع فاستولى عليها بعد حصار دام أكثر من شهر، أما الهرمزان فالتجأ إلى قلعة المدينة وتحصن بها لكنه سلم نفسه للمسلمين على أن يقرر مصيره عمر بن الخطاب بنفسه.

وحاصر النعمان السوس حتى جاء أمر عمر بالحركة إلى نهاوند وكان ما حدث للهرمزان حافظًا لأمراء الفرس أن يُوحدوا كلمتهم فتكاتفوا وتجمعوا في نهاوند حتى بلغ عددهم مائة وخمسين ألفًا اجتمعوا بإمرة الفيرزان، وقرر عمر أن يسير بنفسه لمعالجة هذا الخطر الداهم ولكن أصحاب الشورى نصحوه بأن يبقى في المدينة ويرسل قائدًا يعتمد عليه، ليفرق شمل القوات الفارسية، فقال: والله لأولينَّ أمرهم رجلًا يكون أول الأسنة إذا لقيها غدًا هو النعمان بن مقرن فقالوا: هو لها[2]

(١) الكامل لابن الأثير (٢/ ٣١١).
(٢) ابن الأثير (٣/ ٣).

وكتب عمر إلى النعمان: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مُقرِّن: سلامٌ عليكم فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإنه قد بلغني أن جموعًا من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله، وبعون الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين. ولا توطئهم وعرا فتؤذيهم ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم، ولا تدخلهم غَيْضَة فإن رجلًا من المسلمين أحب إليَّ من مائة ألف دينار، والسلام عليك[1] وَهَبَّ النعمان بجيشه للقاء العدو، وأرسل أمامه طلائع من فرسانه لتكشف له الطريق فوجدوا أن العجم قد نثروا في الدروب المؤدية إلى نهاوند حسك الحديد، ليعوقوا الفرسان والمشاة عن الوصول إليها.

وأخبر الفرسان النعمان بما رأوا وطلبوا منه أن يمدهم برأيه، فأمرهم أن يقفوا في أماكنهم وأن يوقدوا النيران في الليل ليراهم العدو، وعند ذلك يتظاهرون بالخوف منه، ليغروه باللحاق بهم، وإزالة ما زرعه من حسك الحديد، وجازت الحيلة على الفرس، فما إن رأوا طليعة جيش المسلمين تمضي منهزمة أمامهم حتى أرسلوا عمالهم فكنسوا الطرق من الحسك فكرَّ عليهم المسلمون واحتلوا تلك الدروب. وتحصن المشركون بحصونهم وخنادقهم ومدائنهم في مائة وخمسين ألفًا وأمامهم ثلاثون ألفًا من المسلمين وقال طليحة الأسدي للنعمان: أرى أن تبعث خيلًا مؤدية فيحدقوا بهم، ثم يرموهم لينشبوا القتال ويحمسوهم فإذا استحمشوا واختلطوا بهم وأرادوا الخروج أرزوا إلينا استطرادًا فإنا لم نستطرد لهم في طِوَل[2] ما قاتلناهم وإنا إذا فعلنا ذلك ورأوا ذلك منا طمعوا في هزيمتنا ولم يشكو فيها، فخرجوا فجادونا وجاددناهم حتى يقضي الله فيهم وفينا ما يحب. وقالوا للنعمان: انتقل من منزلك هذا حتى يروا أنك هارب منهم فيخرجوا في طلبك[3].

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٥٣) (٣/ ٢١٣).

(٢) ارزوا: أي لجئوا: استطرادا: مبارزة على الخيل بالكر والفر.

(٣) الطبري (٤/ ١١٥).

لقي هذا الرأي القبول، وفي حينها وكّل النعمان تنفيذ دور الفرسان إلى القعقاع بن عمرو، وأنشب القعقاع القتال وتحرش بهم ورماهم بعد احتجاز من العجم فأخرجهم، فلما خرجوا واقتتلوا جعل يتراجع ويتراجع وكأنه انهزام .. ورمى المجوس المسلمين بالنبل، والمسلمون يسترون بالجحف، لا يتحركون حتى أكثروا فيهم الجراح وشكا بعضهم إلى بعض من ذلك ثم قالوا للنعمان: ألا ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما لقي الناس، فما تنتظر بهم؟! ائذن للناس في قتالهم » . فيجيبهم النعمان تلميذ سعد رويدًا رويدا وأعادوا عليه القول وهو يجيبهم رويدًا رويدًا. قال المغير بن شعبة - وقد رأى كثرة جيوش العجم وما تفعل لم أر كاليوم فشلًا إن عدونا يتركون يتأهبون ولا يعجلون !! أما والله لو أن هذا الأمر إليّ لكنت قد أعجلتهم وعلمت ما أصنع ولو كنت بمنزلتك باكرتهم القتال.

قال النعمان: رويدًا ترى أمرك، وقد كنت تلي الأمر فتحسن، فلا يخذلنا الله ولا إياك، ونحن نرجو في المكث مثل الذي ترجو في الحثّ ، ربما باكرت القتال ثم لم يسود الله وجهك فالله عز وجل يشهدك أمثالها فلا يحزنك ولا يعيبك موقفك إنه والله ما منعني أن أُناجزَهُمْ إلا شيء شهدته من رسول الله ﷺ إن رسول الله ﷺ كان إذا غزا فلم يقاتل أول النهار لم يعجل حتى تحضر الصلاة وتهب الأرواح ويطيب القتال فما منعني إلا ذلك»[1] ووقف النعمان وقال لجيشه: قد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين وما وعدكم من الظهور ... والله منجز وعده - إلى أن قال: فإذا قضيت أمري فاستعدوا فإني مكبر ثلاثًا فإذا كبرت التكبيرة الأولى فشد رجل شعسه وأصلح من شأنه وليتهيأ لم يكن تهيأ فإذا كبرت الثانية فشد رجل إزاره وليشد عليه سلاحه وليتأهب للنهوض ويتهيأ لوجه حملته فإذا كبرت الثالثة فإني حامل إن شاء الله فاحملوا معًا. اللهم إني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز للإسلام وذُل يُذَلُّ به الكفار، ثم اقبضني إليك بعد ذلك على الشهادة واجعل

---

(١) الطبري (٤/ ١١٥) نقلًا من صلاح الأمة، د/ سيد حسين.

النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك .. أمنوا يرحمكم الله[١].

فأمَّن المسلمون وبكوا وحمل النعمان مع التكبيرة الثالثة وهو يحمل الراية وقد رآها المسلمون تنقض نحو الأعاجم انقضاض العقاب، وكان النعمان مميزًا بقباء أبيض وقلنسوة بيضاء يقول جبير: « فوالله ما علمت من المسلمين أحدًا يومئذ يريد أن يرجع إلى أهله حتى يقتل أو يظفر، فحملنا حملة واحدة وثبتوا لنا فما كنا نسمع إلا وقع الحديد على الحديد حتى أصيب المسلمون بمصائب عظيمة، فلما رأوا صبرنا وأنا لا نبرح العرصة - الساحة - انهزموا فجعل يقع الواحد فيقع عليه سبعة بعضهم على بعض في قياد فيقتلون جميعًا، وجعلوا يعقرهم حسك الحديد الذي وضعوه خلفهم. واقتتلوا بالسيوف قتالًا شديدًا يصفه الرواة بقولهم: « لم يسمع السامعون بوقعة قط كانت أشد منها» واستمر القتال من انتصاف النهار حتى هبوط الظلام وكثر قتلى الفرس حتى طبق أرض المعركة دمًا يزلق فيه الناس والدواب، فانزلق فيه من خيول المسلمين وأصيب فرسانهم وزلق فرس النعمان، فلقي النعمان مصرعه واستمر القتال حتى إذا أظلم الليل انكشف العجم وتراجعوا والمسلمون ملتحمون بهم ملتبسون فيهم لا يرفهون عنهم فاختلط عليهم طريق التراجع وعمي عليهم قصدهم فخرجوا عنه واتجهوا نحو اللهب الذي كانوا دونه بأسبيد ذهان فوقعوا فيه فمات فيه منهم مائة ألف أو يزيدون واجتمع المسلمون بعد المعركة فتساءلوا: أين أميرنا؟ فقال معقل بن مقرن المزني: « هذا أميركم قد أقر الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة» ، وهكذا رحل النعمان وسالت دماؤه الشريفة التي طالما امتزجت بحب الله وحب رسوله ﷺ والشوق إلى نصرة دين الله - جل وعلا - رحل ولكن سيرته لم ترحل وستبقى دائمًا يرويها الأجيال بعد الأجيال لتكون نورًا على الدرب.

رحل ليلحق بالحبيب ﷺ وأصحابه في جنات النعيم إخوانًا على سرر متقابلين فرضي الله عن النعمان وعن سائر الصحابة أجمعين، اللهم ألحقنا بالصالحين واجعلنا

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ١١٩).

من ورثة جنة النعيم اللهم عليك بأعداء الدين من اليهود والنصارى وسائر المشركين والكافرين، اللهم انصر من نصر الدين واخذل من خذل المسلمين، اللهم من ولي أمر المسلمين وشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي أمر المسلمين ويسر أمورهم فأصلح شأنه ومكنه في الأرض يا سميع الدعاء، وقوموا إلى صلاتكم.

أبي ذر الغفاري رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال ﷺ: «**خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا**»[1] وها نحن نفتح صفحة نقية بيضاء لهذا الصحابي الجليل الذي ملأ الدنيا بزهده وورعه .. الذي لم تستطيع الدنيا أن تنال من قلبه شيئًا .. إنه أبو ذر الغفاري.

أحد السابقين الأولين من نجباء أصحاب محمد ﷺ.

قيل: كان خامس خمسة في الإسلام ثم إنه رُدَّ إلى بلاد قومه فأقام بها بأمر النبي

---

(١) أخرجه البخاري، ومسلم عن أبي هريرة، صحيح الجامع (٤٢٦٧).

ﷺ له بذلك، فلما أن هاجر النبي ﷺ هاجر إليه أبو ذر رضي الله عنه ولازمه، وجاهد معه، وكان يفتي في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان.

وكان رأسًا في الزهد والصدق والعلم والعمل قوالًا بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم على حِدَّة فيه، وقد شهد فتح بيت المقدس مع عمر[1].

أما قصة إسلامه فلقد كان أبو ذر رضي الله عنه يعيش في قبيلة تُسمي «غفار» وهي قبيلة مشهورة بقطع الطريق على القوافل، فإن أعطتها القافلة ما تريد وإلا أغارت عليها وأخذت كل ما فيها.

وكان أبو ذر يتعبد قبل مبعث رسول الله ﷺ بل كان يجلس وحده كثيرًا للتفكُّر.. إنه يبحث عن عالم آخر يجد فيه الأمان والأمانة والمحبة والإخاء يبحث عن فجر قريب يضيء أركان الكون ويبدد ظلمات الجاهلية فيحولها إلى عالم مثالي يعيش الناس فيه على قلب رجل واحد.. وكانت تلك الأمنية لا يمكن أن تتحقق بحال من الأحوال إلا في ظل هذا الدين العظيم، وما هي إلا مدة يسيرة حتى سمع أبو ذر بمبعث نبي آخر الزمان ﷺ فأراد أن يتثبت من هذا الخبر .. أقصد هذا الحلم الجميل الذي ملأ قلبه فرحة وسرورًا وهنا أدع المجال لهذا الصحابي الجليل ليروي لنا جميعًا قصة إسلامه .. وما أجملها من قصة.

قال أبو ذر: بلغني أن رجلًا بمكة قد خرج يزعم أنه نبيّ، فأرسلت أخي ليكلمه فقلت: انطلق إلى هذا الرجل فكلّمه فانطلق فلقيه ثم رجع فقلت: ما عندك؟ قال: والله لقد رأيت رجلًا يأمر بالخير وينهى عن الشر. قلت: لم تشفني فأخذت جرابًا وعصا، ثم أقبلت إلى مكة فجعلت لا أعرفه وأكره أن أسأل عنه وأشرب من ماء زمزم وأكون في المسجد، فمر «عليّ بن أبي طالب» فقال: هذا رجل غريب قلت: نعم. قال: انطلق إلى المنزل فانطلقت معه، لا أسأله عن شيء ولا يخبرني! فلما أصبح الغد جئت إلى المسجد لا أسأل عنه، وليس أحد يخبرني عنه بشيء فمرَّ بي عليّ فقال:

---

(١) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (٢/ ٤٦، ٤٧).

أما آن للرجل أن يعود؟ قلت: لا. قال: ما أمرك. وما أقدمك؟ قلت؟ إن كتمت عَليَّ أخبرتك؟ ، قال: أفعل: قلت: قد بلغنا أنه قد خرج نبيّ. قال: أما قد رشدت هذا وجهي إليه، فاتبعني وادخل حيث أدخل، فإني إن رأيت أحدًا أخافه عليك قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي! وامض أنت. فمضى ومضيت معه. فدخلنا على النبيّ ﷺ فقلت: يا رسول الله، اعرض عليّ الإسلام. فعرض عليّ. فأسلمت مكاني فقال لي: يا أبا ذر، اكتم هذا الأمر، وارجع إلى قومك فإذا بلغك ظهورنا فأقبل.

فقلت: والذي بعثك بالحق لأصرخنَّ بها بين أظهرهم. فجاء إلى المسجد وقريش فيه، فقال: يا معشر قريش إني أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ فقاموا: فضُربتُ لأموت: فأدركني العباس، فأكب عليّ، وقال: ويلكم تقتلون رجلًا من غفار، ومتجركم وممركم على غفار ! فأطلقوا عني. فلما أصبحت رجعت، فقلت مثلما قلت بالأمس فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ! فَصُنع بي كذلك وأدركني العباس، فأكب عليَّ [1] .

وهكذا حمل أبو ذر أمانة هذا الدين على أعناقه فمن أول لحظة لامس الإيمان شغاف قلبه وأحس بنوره أراد أن يعيش الكون كله في هذا النور وعاش أبو ذر في قبيلته زاهدًا عابدًا حتى مضت غزوة بدر وأحد والخندق ثم جاء إلى الحبيب ﷺ في المدينة واستأذنه في أن يقوم بخدمته فأذن له.

عباد الله: وفي الطريق إلى غزوة تبوك مضى رسول الله ﷺ سائرًا فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان، فيقول: «**دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم. وإن يَكُ غير ذلك فقد أراحكم الله منه**» حتى قيل: يا رسول الله قد تخلف أبو ذر، وأبطأ به بعيره، فقال: «**دعوه فإن يَكُ فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه**» وتلوم أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه، أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج يتتبع أثر رسول الله ﷺ ماشيًا ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازله، فنظر ناظر من المسلمين، فقال: يا رسول الله، إن هذا

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٤٠٠) (٧/ ١٣٢/ ١٣٤) ومسلم (٢٤٧٤).

لرجل يمشي على الطريق وحده، فقال رسول الله ﷺ، «كن أبا ذر» فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله ، هو والله أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ: «**رحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده**»[١] ولقد أحبه النبي ﷺ حبًّا جمًّا من أعماق قلبه حتى إنه قال ذات مرة عن أبي ذر ﷺ: «**ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبه عيسى بن مريم**»[٢] وقال رسول الله ﷺ: «**من سره أن ينظر إلى تواضع عيسى ابن مريم فلينظر إلى أبي ذر**»[٣] .

وها هو الحبيب ﷺ يوصيه بتلك الوصايا الغالية. فعن أبي ذر ﷺ قال: أوصاني خليلي ﷺ بسبع: «**أمرني بحُب المساكين والدنو منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني، وأن لا أسأل أحدًا شَيئًا ، وأن أصل الرحم وإن أدبرت، وأن أقول الحق وإن كان مُرًّا، وألا أخاف في الله لومة لائم، وأن أكثر من قوله: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهنَّ من كنز تحت العرش**»[٤] .

وقد قال النبي ﷺ لأبي ذر مع قوة أبي ذر في بدنه وشجاعته: «**يا أبا ذر إني أراك ضعيفًا وأني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولينَّ مال يتيم**»[٥] .

قال الإمام الذهبي - رحمه الله -: فهذا محمول على ضعف الرأي، فإنه لو ولي مال يتيم لأنفقه كله في سبيل الخير، ولترك اليتيم فقيرًا، فقد ذكر أنه كان لا يستجيز ادخار النقدين، والذي يتأمَّر على الناس، يريد أن يكون فيه حلم ومداراة .. وأبو ذر ﷺ كانت فيه حدة - كما ذكرنا - فنصحه النبي ﷺ [٦] بل كان النبي ﷺ يقربه

---

(١) السير لابن هشام (٤/ ١٤٩).

(٢) رواه الترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي ذر،وحسن الألباني في صحيح الجامع (٥٥٣٨).

(٣) رواه أبو يعلي وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٩٢).

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٩) وابن سعد (٤/ ٢٢٩) وسنده حسن.

(٥) أخرجه مسلم (١٨٢٦).

(٦) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (٢/ ٧٥).

كثيرًا. فعن أبي ذر، قال: كنت ردف رسول الله ﷺ على حمار وعليه برذعة، أو قطيفة[١] هذا دليل على عظيم تواضع النبي ﷺ وعلى شدة محبته لأبي ذر رضي الله عنه .

قلت ما سمعتم وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله جاعل العاقبة للمتقين والخسران للعصاة المارقين، نحمده سبحانه وتعالى أن جعلنا مسلمين، ونسأله أن يبعثنا مع عباده الصالحين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

أما مكانة أبي ذر رضي الله عنه في قلوب الصحابة رضي الله عنهم فقد سئل عليّ عن أبي ذر، فقال: **«وعى علمًا عجز عنه، وكان شحيحًا على دينه، حريصًا على العلم يُكثر السؤال، وعجز عن كشف ما عنده من العلم»**[٢] .

وعن عليّ قال: لم يبق أحدٌ لا يُبالي في الله لومة لائم غير أبي ذر، ولا نفسي، ثم ضرب بيده على صدره[٣] .

ولما توفي رسول الله ﷺ ولحق بالرفيق الأعلى لم يستطع أبو ذر أن يعيش في المدينة بعد أن أظلمت بموت الحبيب ﷺ وخلت من صوته العذب ومجالسه المباركة، فرحل إلى البادية وعاش فيها مدة خلافة الصديق والفاروق رضي الله عنهما وفي خلافة عثمان رضي الله عنه نزل في دمشق فلما رأى أن كثيرًا من المسلمين قد أقبلوا على الدنيا وانغمسوا في الترف قام فيهم ناصحًا ومذكرًا.

---

(١) إسناده صحيح: وهو في مسند الإمام أحمد (٥/ ١٦٤).
(٢) ابن سعد (٤/ ٢٣٢) نقلًا من سير أعلام النبلاء (٢/ ٦٠).
(٣) ابن سعد (٤/ ٢٣١) نقلًا من سير أعلام النبلاء (٢/ ٦٤).

ولما استدعاه عثمان ﷺ يومًا قام أبو ذر ﷺ وطلب منه أن يأذن له في أن ينزل بالربذة فأذن له.

عباد الله: ومما يؤسف له أن كثيرًا ممن كتبوا عن الصحابة ﷺ يثبتون في كتبهم أن عثمان بن عفان ﷺ قد أخرج أبا ذر ﷺ إلى الربذة على الرغم من أن أبا ذر لا يريد ذلك، وهذا ظلم عظيم ومنكر أثيم .. فعثمان ﷺ أعدل وأفضل من أن يفعل بالأفاضل من الصحابة ما لا يستحقون أو يناهم بمكروه، وإنما كان هذا من عثمان تخييرًا لأبي ذر والدليل على ذلك ما رواه زيد بن وهب قال: مررت بالربذة، فقلت لأبي ذر ﷺ ما أنزلك هذا المنزل؟ فقال: أخبرك إني كنت بالشام فتذاكرت أنا ومعاوية هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٤] فقال معاوية: هذه نزلت في أهل الكتاب، وقلت أنا: هي فيهم وفينا، فكتب معاوية إلى عثمان في ذلك فكتب إليّ: إن أقدم عليّ، فقدمت عليه فانثال عليّ الناس كأنهم لم يعرفوني فشكوت ذلك إلى عثمان فخيرني فقال: «إنزل حيث شئت»[1] وعاش أبو ذر ﷺ حياة الزهد التقشف في الربذة وظل على تلك الحالة التي تركه عليها رسول الله ﷺ.

عن أبي بكر بن المنكدر، قال: بعث حبيب بن مسلمة، وهو أمير بالشام، إلى أبي ذر بثلاثمائة دينار وقال: استعن بها على حاجتك، فقال أبو ذر: ارجع بها إليه أوَمَا وجد أحدًا أغر بالله - عز وجل - منا؟ ما لنا إلَّا ظل نتواري به، وثلة من غنم تروح علينا، ومولاة لنا تصدقت علينا بخدمتها ثم إني لأتخوف الفضل - الزيادة -.

وعن جعفر بن سليمان قال: دخل رجلٌ على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته، فقال: يا أبا ذر أين متاعكم؟ قال: لنا بيت نوجه إليه صالح متاعنا قال: إنه لابد لك من متاع ما دمت ها هنا، قال: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه.

وعن أبي أسماء، أنه دخل على أبي ذر بالربذة، وعنده امرأة له سوداء مشعثة ليس

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو نعيم (١٣٩) في تثبيت الإمامة.

عليها أثر المجاسد والخلوق قال: ألا تنظرون ما تأمرني به؟ تأمرني أن آتي العراق، فإذا أتيتها مالوا عليَّ بدنياهم وإن خليلي عهد اليّ «إن دون جسر جهنم طريقًا ذا دحض ومزلة» وإنا أن نأتي عليه وفي أحمالنا اقتدار أحرى أن ننجو من أن نأتي عليه ونحن مواقير [1].

عباد الله: ومن وصايا أبي ذر رضي الله عنه ما ورد عن سفيان الثوري قال: قام أبو ذر الغفاري عند الكعبة، فقال: يا أيها الناس، أنا جندب الغفاري، هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق، فاكتنفه الناس، فقال: أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفرًا أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه؟ قالوا: بلى . قال: فإن سفر طريق القيامة أبعد ما تريدون، فخذوا ما يصلحكم. قالوا: وما يصلحنا؟، قال حُجُّوا حجة لعظائم الأمور، وصوموا يومًا شديدًا حره لطول النشور، وصلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور .. كلمة خير تقولها ، أو كلمة شر تسكت عنها لوقوف يوم عظيم. تَصَدَّق بمالك لعلك تنجو من عسيرها. اجعل الدنيا مجلسين مجلسًا في طلب الحلال ومجلسًا في طلب الآخرة الثالث يضر ولا ينفعك لا تَرِدْه اجعل المال درهمين: درهمًا تنفقه على عيالك من حله، ودرهمًا تقدمه لآخرتك، الثالث يضرك ولا ينفعك لا تَرِدْهُ، ثم نادى بأعلى صوته: يا أيها الناس، قد قتلكم حرص لا تدركونه أبدًا وبعد تلك الحياة المليئة بالزهد والعطاء والطاعة نام أبو ذر رضي الله عنه على فراش الموت ليسلم الروح إلى بارئها وليلحق بالحبيب ﷺ وأصحابه في جنة الرحمن إخوانًا على سرر متقابلين.

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - واصفًا موت أبي ذر رضي الله عنه: ثم نزل بالربذة فأقام بها حتى مات في ذي الحجة من هذه السنة (سنة ٣٢) وليس عنده سوى امرأته وأولاده فبينما هم كذلك لا يقدرون على دفنه إذ قدم عبد الله بن مسعود من العراق في جماعة من أصحابه، فحضروا موته، وأوصاهم كيف يفعلون به، وقيل: قدموا بعد وفاته، فتولوا غسله ودفنه. وكان قد أمر أهله أن يطبخوا لهم شاة من غنمه

---

(١) أخرجه ابن سعد (٤/ ٢٣٦) وأحمد (٥/ ١٩٥).

ليأكلوه بعد الموت، وقد أرسل عثمان بن عفان إلى أهله فضمهم مع أهله[١].

وهكذا يحفظ الله المؤمن في ذريته كما كان يحفظ الله في السرِّ والعلن ويمتثل أمره في المنشط والمكره، فرضي الله عن أبي ذر وعن سائر الصحابة أجمعين، اللهم ألحقنا بالصالحين واجعلنا من ورثة جنة النعيم، اللهم انصر الإسلام والمسلمين واخذل الكفرة والمشركين أعداء الدين، اللهم اشف مرضانا ومرضى المسلمين وعاف مبتلانا ومتبلى المسلمين، وقوموا إلى صلاتكم.

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٧/ ١٧٢).